منهج التفسير الحديث
محمد عبده أنموذجاً

الدكتور نجم الفحام
جامعة القادسية / كلية الآداب

خلاصة البحث :

يقوم منهج عبده في التفسير على مبنى أو منطلق يقول : بأنَّ القرآن يهدف إلى هداية الناس وإرشادهم إلى سعادتهم في الدارين . والقائلون بهذا المنهج ينطلقون من القول : إنَّ القرآن يرسم منهجاً اجتماعيَّاً متكاملاً ، ولذلك فهم أخضعوا التفسير لهذا المفهوم وحاولوا في تفسيرهم الكشف عن المنهج القرآني في بناء المجتمع الإسلامي من جوانبه كافَّة .

ومن مزايا هذا اللون من التفسير : الابتعاد عن ليّ عنق الآيات القرآنية لتوافق ما يذهب إليه المفسر أو المتصدِّي لتفسير القرآن الكريم . والعكس هو الصحيح إذ يجب أن نعرض على القرآن ما نعتقد به كي يتبيّن لنا الهدى منَ الضلال ، لأنَّ القرآن الكريم هو الأصل الذي تحمل عليه المذاهب والآراء وليس العكس . ومنها : أنَّه يرى أنَّ كل كلمةٍ في القرآن موضوعة في موضعها اللائق وليس فيه كلمة زائدة البتَّة ، والإنكار على النحويين تحكيم مذاهبهم النحوية في القرآن الكريم ، وأن ليس فيه كلم زائدة حسب وإنَّما القرآن الكريم لا يختار لفظاً على لفظ إلاَّ لحكمة تفوق تصورات أرباب الفصاحة وحذَّاق البلاغة ، لأنَّه في أعلى درج البلاغة .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

تمهيد :

تحدَّث الباحث عن المنهج الحديث في تفسير القرآن الكريم فكانت مدرسة محمد عبده بجنبتها الإجتماعيَّة . وقد كان منهج عبده في التفسير وهو . بلا شكٍّ . منهج له سِماته المميّزة ولكنَّه أخصّ من أن يكون منهجاً اجتماعيَّاً متكاملاً، فالمنهج الاجتماعي أكثر سعةً وشمولاً من هذه الآراء التي تكاد تكون جزئيَّة تأخذ من كل اتجاه بطرف .

ويمكن للباحث أن يقول وهو مطمئِنٌ بأنَّ منهج محمد عبده أُنموذجٌ لنوعٍ من الفهم ذي البعد الإجتماعي للقرآن الكريم وسيتجلَّى ذلك من خلال التركيز الذي قام به عبده على الجوانب الاجتماعيَّة؛ لذا يرى الباحث أنَّ عنوان المنهج الحديث أكثر انطباقاً على تفسير الشيخ محمد عبده ومَن تأثَّر بمنهجه في التفسير لاسيَّما تلامذته الذين خلَّفوا لنا أثراً تفسيريَّاً كمحمد رشيد رضا (صاحب تفسير المنار)، ومحمد مصطفى المراغي، ومحمد جمال الدين القاسمي . فالمنهج الحديث في جانبٍ منه ينظر إلى أنَّ القرآن الكريم يرسم حدود مجتمعٍ إسلامي ذي أوصافٍ محدَّدة، والقرآن منهجٌ للحياة بعامَّة وليس لجانبٍ منها، ويكاد يكون الشيخ محمد عبده آخذاً بجانبٍ من ذلك . إذ يقوم هذا الإتجاه للتفسير على مبنىً أو منطلق في التفسير يقول : بأنَّ القرآن يهدف إلى هداية الناس وإرشادهم إلى سعادتهم في الدارين . والقائلين بهذا المنهج ينطلقون من القول : إنَّ القرآن يرسم منهجاً اجتماعيَّاً متكاملاً، ولذلك فهم أخضعوا التفسير لهذا المفهوم وحاولوا في تفسيرهم الكشف عن المنهج القرآني في بناء المجتمع الإسلامي من جوانبه كافَّة .

وعبده يرى : ((انّ القرآن لا يحتاج الى تفسير كامل من كل وجه ، فله تفاسير كثيرة اتقن بعضها مالم يتقنها بعض ، ولكن الحاجة شديدة الى تفسير بعض الآيات ...))[1].

والذي كان يؤرّقه ويقضّ عليه مضجعهُ ما كان يقرأه من الطعن على الإسلام ونبيه . ﷺ ـ إذ يقول : ((إنّ هؤلاء الإفرنج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين ، مع جهلهم بحقيقة الإسلام ... إنّ القرآن نظيف و الاسلام نظيف ، وإنما لوّثه المسلمون بإعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ... إنّ الطاعن ادّعى أنّ المسلمين لم يعلّمهم نبيُّهم من صفات الخالق إلاّ أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم قد أوجب الفتح على اتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ...))[2].

فالوجه الذي اختاره محمد عبده هو : ((فهم الكتاب من حيث هو دينٌ يرشد الناس الى سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإنّ هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله ...))[3].

والتفسير عنده قسمان : ((أحدهما : جاف مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو ما يقصد به حلّ الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية وهذا لا ينبغي أنْ يسمى تفسيراً ، وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنون كالنحو و المعاني وغيرها . وثانيها :وهو التفسير الذي قلنا : إنه يجب على الناس على أنه فرض كفاية . هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أنْ تستعمل لغايتها ، وهو ذهاب المفسِّر الى فهم المراد من القول ، وحكمة التشريع في العقائد والاحكام . على الوجه الذي

يجذب الأرواح ، ويسوقها الى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقَّق فيه معنى قوله (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف . فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن ...))[4].

ولمّا كان القرآن كتاب هداية يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم ، فان كلَّ ما يطلبه الدين منهم إنما هو لمنفعتهم . يقول الشيخ محمد عبده : ((... إنّ كل ما يطلبه الدين من العبد فهو لمنفعته ، وكل ما ينهاهُ عنه فإنما يقصد به دفع الضرر عنه ، ولن يبلغ أحد نفع الله فينفعه ، ولن يبلغ أحدٌ ضره فيضره ، كما ثبت في الحديث القدسي . فكل عمل ابن آدم له أو عليه ...))[5].

وهذا ما سنراه واضحا جليّا في :.

أ. خصائص التفسيرعند عبده وسماته :

ومن خصائص تفسير عبده تركيزه الواضح على أوضاع المسلمين وما أصابهم من تأخّر في ركب الحضارة ، وكيفية معالجته ، إذ يقول : ((وإننا نعتقد أنَّ المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم مِن الملك الواسع إلاّ بإعراضهم عن هداية القرآن ، وأنه لا يعود اليهم شيء مما فقدوا من العزّ والسيادة والكرامة إلاّ بالرجوع إلى هدايته و الاعتصام بحبله ...))[6].

ومن سمات منهجه التربوي الذي ارادهُ للأُمة الإسلامية ما أكده عبده في تفسيره من ضرورة أنْ تعي الامة الاسلامية من أنّ سعادتها وشقاءها مرهون بمدى وعي كل فردٍ منها بضرورة أنْ يرى سعادته بسعادة غيره ، ويتوقع نزول العقوبة به إذا فشت الذنوب في الأمة وإنْ لم يواقعها هو ، وذلك من خلال حديثه عن الآيات التي صوّرت ظلم بني اسرائيل لأنفسهم باتخاذهم العجل إلهاً من دون الله ، إذ يقول : ((والعبرة الاجتماعية في الآيات أنّ الخطاب كان موجّهاً إلى الذين كانوا في عصر التنزيل ، وأنّ الكلام عن الابناء والآباء ... واحد لم تختلف فيه الضمائر حتى كأنَّ الذين قتلوا أنفسهم بالتوبة ، والذين صعقوا بعد ذلك هم المطالبون بالاعتبار وبالشكر ، وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب إلاّ لبيان معنى وحدة الأمة واعتبار أنَّ كل ما يبلوها الله به من الحسنات والسَّيّئات وما يجازيها به من النعم و النقم إنما يكون لمعنىً موجود فيها يصِّحح أنْ يخاطب اللاحق منها بما كان للسابق كأنهُ وقع به ، ليعلم الناس أنّ سنّة الله تعالى في الاجتماع الإنساني أنْ تكون الأمم متكاملة يعتبر كلُّ فردٍ منها سعادته بسعادة سائر الأفراد وشقاءه بشقائهم ، ويتوقّع نزول العقوبة به إذا فشت الذنوب في الأمة وأنْ لم يواقعها هو))[7].

والشيخ محمد عبده لم يكتفِ ولم يقف عند أقوال من سبقه من المفسرين من دون تدقيق وتمحيص ورفض ما لا يستقيم وعقله الحرّ في مناقشة الآراء والقضايا لا سيّما فيما يُشمُّ منه رائحة الإسرائيليات . ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[8].

يقول : ((. . . يقال بدلت قولاً غير الذي قيل ، أي جئت بذلك القول مكان القول الاوّل . . . وليس المعنى أنهم أمروا بحركة يأتونها ، وكلمة يقولونها ، وتعبدوا بذلك وجعل سبباً لغفران الخطايا عنهم فقالوا غيره وخالفوا الأمر ، وكانوا من الفاسقين ...

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

ومنشأ هذه الأقوال الروايات الاسرئيليّة واليهود في هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسّرون ولا نجيز حشوها في تفسير كلام الله تعالى))[9] .

فالإمام محمد عبده ومن خلال كلامه اعلاه ليس من منهجه أن يكتفي من الحديث أنْ يرويه أصحاب الصحاح أو غيرهم ليكون حديثاً متواتراً مقطوعاً بصَحتّه ، والمتصفّح لسِفره (المنار) يجد من ذلك الشيء الكثير لاسيما إذا كان ما يروى من الأحاديث في باب العقائد كما هي الحال فيما جاء من روايات في سحر النبي (ﷺ) .

إذ يقول : ((وقد رووا ... أنّ النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه ، وأنَّ الله أنبأهُ بذلك ، وأخرجت مواد السحر من بئر . وعوفي ﷺ . مما نزل به من ذلك ... ولا يخفى أنّ تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر الى أنْ يظنَّ أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الامور العادية ، بل هو ماسٌّ بالعقل ، آخذٌ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه، وليس المسحور عندهم إلاّ مَن خولط في عقله وخُيّلَ له أنّ شيئاً يقع وهو لا يقع ، فيخيّل إليه أنه يوحى إليه ، ولا يوحى إليه ... والذي يجب اعتقاده أنَّ القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ . فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه . وقد جاء بنفي السحر عنه ـ عليه السلام ـ ، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، ووبَّخهم على زعمهم هذا ، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً . وأمّا الحديث فعلى فرض صحتِهِ ، هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة مِنَ العقائد ...))[10] .

ولكن هؤلاء العميان . كما يقول محمد عبده . أصناف ولعل بعضهم ممن تسلط على عيال الله وتحكّم بمقدراتهم ويرى نفسه اعلى من الخلق كلهم ويأبى أنْ ينصحه احدٌ الاّ انّ نهج الشيخ عبده الاصلاحي لا يدّخر وسعاً في كيفية إرشاد هؤلاء وتعليمهم .

يقول الشيخ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[11] ، ((أي إنّه إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر يسرع اليه الغضب ، ويعظم عليه الأمر ، فتأخذه الكبرياء والأنفة ، وتخطفه الحمية وطيش السفه ، فيكون كالمأخوذ بالسحر ، لا يستقيم له فكر ... وقد عرضت نصيحةً على بعضهم مع ذكر لفظ النصيحة بعد تمهيدٍ له بالحديث (الدين النصيحة لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) وبيان معناه ، فعظم عليه أنْ يقول أحد انني أنصح لك ... فانظر كيف لم يرضَ حاكمٌ مسلم بأنْ يبذل له ما يجب أنْ يبذل لله ورسوله وللأئمة ... واذا كان هذا شأن أكثر الملوك والأمراء الذين ينسبون الى الدين ويدّعون اتباعه فهل تجد دعوى فرعون الألوهية غريباً عجيباً ؟))[12] .

ويرى الشيخ محمد عبده على وفق منهجه في التفسير وهو يحدد اسباب تأخّر الأمة والمجتمع الاسلامي أنّ أبناء هذا المجتمع المسلم لم يكلّفوا أنفسهم ولو قليلاً التضحية والعطاء في سبيل محاربة الجهل المطبق على الامة مما جعلها فريسة سهلة في

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

مواجهة أعدائها الذين لم يألو جهداً في غزوها فكرياً وحضارياً وتاريخياً .

إذ يقول في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[13] ، ((ترى كثيراً من أغنياء المسلمين عارفين بما عليه أمتهم من الجهل بأمور الدين ومصالح الدنيا وفساد الاخلاق وتقطّع الروابط وتراخي الأواخي وما نشأ عن ذلك من هضم حقوقها وانتزاع منافعها من أيدي أبنائها ويعلمون أنّ إصلاحهم يتوقف على بذل شيءٍ من امولهم ينفق على التربية والتعليم ونحوهما مِن المنافع العامّة ...))[14] .

ومثله ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[15] ، يقول : ((... إنّ أمر الإنفاق في سبيل الله أشقّ الامور على النفوس ، لاسيما إذا اتسعت دائرة المنفعة فيما ينفق فيه ، وبعدت نسبة من ينفق عليه المنفق ، فإنّ كل انسان يسهل عليه الانفاق على نفسه ... وأكثر النفوس جاهلة باتصال منافعها ومصالحها بالبعداء عنها فلا تشعر بأن الانفاق في وجوه البر العامة كإزالة الجهل بنشر العلم ومساعدة العجزة والضعفاء وترقية الصناعات وإنشاء المستشفيات والملاجيء وخدمة الدين المهذب للنفوس هو الذي تقوم به المصالح العامة حتى تكون كلها سعيدة عزيزة))[16] .

وهكذا فانّ إصلاح المسلمين لا يتوقف على اصلاح حكامهم حسب وإنما يتوقف كذلك على مدى بذل المسلمين لشيء من أموالهم على التربية والتعليم إذا أرادوا أنْ يستحقوا أنْ يكونوا من المسلمين .

ومن سمات منهجه في تحفيز الأُمة على النهوض أنْ يكون الذي يتصدى لإنهاض الأمة عارفاً بمواضع العزة والشرف والكرامة والحمية في الأمة ليكون التذكير أتم والتأثير أقوى . كما هي الحال في تفسيره لقولهِ تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[17] .

إذ يقول : ((... وهذا اسلوبٌ حكيم في الوعظ ، فينبغي لكل واعظٍ أنْ يبدأ وعظه بإحياء إحساس الشرف وشعور الكرامة ... فإنَّ النفس إذ استشعرت كرامتها وعلوّها ونظرت الى ما في الرذائل من الخسّة أبى لها ذلك الشعور . شعور العلو والرفعة . أنْ تنحطَّ الى تعاطي تلك الخسائس ، وكان ذلك من أقوى الوسائل لمساعدة الواعظ على بلوغ قصده مِنْ نفس مَنْ يوجه اليه وعظه ، إنّ في الوعظ مسّاً يؤلم نفس الموعوظ وحرجاً يكاد يحمله على النفرة من تلقينه والاستنكاف من سماعه ...))[18] .

ومن منهجه التركيز على الوقائع التاريخية التي ذكرها النص القرآني الكريم لمعرفة سنن الله تعالى في الامم وما جرى عليها لانّ هذه الوقائع ليست مجرد قصص أو حكاية سيقتْ للفكاهة والتسلية وإنما هي شريعة ودين ، وتربية وتعليم ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[19] .

يقول : ((... خاطب الذين في زمن النبي ﷺ . بما كان لآبائهم . لأنّ الإنعام على أمة بعنوان أنها أمة كذا ، وهو إنعام شامل للأمة من أصابه ذلك الانعام من

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

أفرادها ومن لم يصبه ، ويصحّ الامتنان به على اللاحقين منهم والسابقين ... ثمّ إنَّ الله تعالى كان يتوب على الشعب بعد كل بلاء ويفيض عليه النعم . فتكون العقوبة تربية وتعليماً تفيد المعتبرين بها نعمة وسعادة))[20].

ب . احتجاجه بالسياق :

ومِنْ خصائص تفسيره أنه كان يعتمد السياق كدليل على أنّ المراد من الآية ما يذهب اليه من معنى . يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[21] .

يقول : ((... وإنما السياق في الآية وأمثالها يدل على أنّ المراد بيان أنّ ذلك اليوم يوم تتقطع فيه الأسباب ، وتبطل منفعة الأنساب . . . بل يكون له في ذلك اليوم شأن آخر مع ربهِ تضمحِلّ فيه جميع الوسائل إلاّ ما كان من إخلاصه في عمله ، قبل حلول أجله ، ورحمة الله العلي العظيم الكبير له ، لضعف حوله ، وضيق طوله ، وأنه يوم لا يتحرك فيه عضو إلاّ بإذن الله ، ولا يقدر أحد أن ينبس بكلمه إلاّ بأذن الله))[22] .

ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[23] : ((... فإنّ التظليل استمر الى دخولهم أرض الميعاد ، ولولا أنْ ساق الله إليهم الغمام يظللهم في التيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم ... ولا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال المفسِّر (الجلال) وغيره ، بل السياق يقضي كثافته إذ لا يحصل الظل الظليل الذي يفيده حرف التظليل ، إلاّ بسحاب كثيف يمنع حرَّ الشمس ووهجها . وكذلك لا تتم النعمة التي بها المنّة إلاّ بالكثيف ...))[24].

ج . اعتماده معرفة التاريخ الصحيح :

ومن منهجه الوقوف طويلاً عند اسباب ضعف الأمم .لاسيما أمتنا الاسلامية .وسبب ذهاب قوتها . يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[25] .

: ((... و الصبر ... خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق ، وما أُتِيَ الناس من شيءٍ مثلما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه . كل أمةٍ ضعف الصبر في نفوس أفرادها ، ضعف فيها كل شيء ، وذهبت فيها كل قوة ، ولنضرب لذلك مثلاً : نقص العلم عند امة مِنَ الأمم كالمسلمين اليوم ، إذا دققت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر ...))[26] .

ولكي تتخلص الامة من ذلك لابدّ أنْ تقوم بما يجب عليها من معرفة التأريخ الصحيح وعلم تكوين الامم وتعلّم اللغات وأنْ تنظر في معاني القرآن للوصول الى رحمة الله . وإلاّ ستبقى الأمة سادرة في غيها وظلالها ، ولن تخرج من الظلمات الى النور .

يقول الشيخ محمد عبده : ((... يجب على العلماء ومن يتشبّه بهم ، أنْ يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما تدعو اليه الحال ، على حسب الأزمان واختلاف أحوال الامم ، وأول ما يجب عليهم في ذلك أنْ يتعلّموا التأريخ الصحيح ، وعلم تكوين الامم ، وارتفاعها وانحطاطها ، وعلم الأخلاق وأحوال النفس ، وعلم الحس والوجدان))[27] .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

د- موقفه من العقل فيما يذهب إليه من التفسير:

ومن منهج الشيخ محمد عبده احترامه الشديد للعقل لانّ التوجه والاستسلام والخشوع الحقيقي لله لا يتم إلاّ إذا كان تحت نظر العقل وبالتالي اعداد القلب للاهتداء بالقرآن الكريم واحترامه .

يقول الشيخ عبده في تفسير قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[28] . ((ولما كان الايمان بالغيب يطلق عند الناس على ذلك الاستسلام التقليدي الذي لم يأخذ من النفس إلاّ ما يأخذ اللفظ من اللسان وليس له أثر في الافعال ، لأنه لم يقع تحت نظر العقل ، بل أغلقت عليه خزانة الوهم ، ومثل هذا الذي يسمّونه إيماناً لا يفيد في اعداد القلب للاهتداء بالقرآن .لما كان هذا شأنهم مَنَّ الله علينا ببيان يشعر بحقيقة ما أراده الله من معنى الايمان فذكر علامات المؤمنين بالغيب الذين ينتفعون بهداية القرآن ...))[29] .

والمنهج العقلي للشيخ محمد عبده يَحْتِم عليه أنْ يعمل فكره في النص القرآني لفهم ما فيه من العظة والعبرة لاسيما القصص القرآني ، إذ ليس من الضروري أنْ يتفق ما ورد في القرآن الكريم مع ما جاء في كتب بني اسرائيل أو كتب التأريخ القديمة ، وأنْ نجزم بأنَّ ما أوحاه الله تعالى هو الحق المبين وما خالفه هو الباطل . ويستشهد لذلك بآي من القرآن تحضُّ على التعقل والتأمّل .

يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[30] .

: ((يظنّ كثير من الناس الآن ـ كما ظنّ كثير ممن قبلهم ـ أنّ القصص التي جاءت في القرآن يجب أنْ تتفق مع ما جاء في كتب بني اسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التأريخ القديمة ، وليس القرآن تأريخاً ولا قصصاً ، وإنما هو هداية وموعظة ، فلا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ، ولا لأجل التفكه بها أو الإحاطة بتفصيلها ، وانما يذكر ما يذكره لأجل العبرة))[33] .

ولولا أهمية العقل في ادراك حكمة التشريع ، وبناء أصول الدين في العقائد على إدراكه ، لما حثّ الله تعالى على التفكُّر ، ليتبيّن لنا الحق والعدل ومصالح العباد .

يقول الشيخ محمد عبده : ((... بناء أصول الدين في العقائد وحكمة التشريع على إدراك العقل لها واستبانتهُ لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد ، والشاهد عليه ... قوله تعالى في الاستدلال على توحيده بآياته في السماوات والارض ومابينهما ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[34] ثمّ قوله في ابطال التقليد ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[35] وكذلك قال تعالى بعد ذكر طائفة من الأحكام العلميه

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

﴿ كَـذَلِكَ يُبَـيِّنُ اللّهُ لَكُـمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّكُـمْ تَعْقِلُـونَ ﴾[36] ...))[37] .

وهـو يـرى كـل اعتقـاد وايمـان وعمـل لا يصـدر عـن العقـل والتعقُّـل سـينتهي بصـاحبه الى ركـوب الخطيئـة وسـيكون عملـه صـادراً عـن شـهواته لـيس غير؛ لانّ ايمانـاً كهـذا يطـرق القلـب بقـرة البرهـان . يقـول : ((... فكـل مـؤمن بـالله واليـوم الآخـر ومـع ذلـك يصـدر في عملـه عـن شـهواته ، ولا يمنعـه إيمانـه عـن ركـوب خطيئاتـه ، فاعتقـادهُ إنمـا هـو خيـال ، لا يعلـو عـن لفـظٍ في مقـال ، ودعـوى عنـد جـدال... وربمـا كـان التعبيـر عـن العقـول بـالقلوب في مثـل هـذا المقـام لانّ القلـب يظهـر فيـه أثـر الوجدان الذي هو السائق الى الأعمال...))[38] .

ولانّ العقـل هبـة مـن الله حبـا بهـا الانسـان فعلى الانسـان أنْ يحسـن اسـتخدامها فـي توجيـه حواسـه ومشـاعره ، وقـد ((خلـق الله الانسـان ليعـيش مجتمعـاً ولـم يعـط مـن الالهـام والوجـدان مـا يكفـي مـع الحسـن الظـاهر لهـذه الحيـاة الاجتماعيـة كمـا أعطـى النحـل والنمـل فـأنَّ الله قـد منحهـا مـن الالهـم مـا يكفيهـا لأنْ تعـيش مجتمعـة يـؤدي كـل واحـد منهـا وظيفـة العمـل لجميعهـا ، ويـؤدي الجميـع وظيفـة العمـل للواحـد ، وبـذلك قامـت حيـاة أنواعهـا ... أمـا الانسـان فحبـاه الله هدايـة أعلـى مـن هدايـة الحـس والالهـام ، وهـي العقـل الـذي يصـّحح غلـط الحـواس والمشـاعر ويبـين أسبابه))[39] .

والعقـل عنـده هـو أنْ تتـدبر الشـيء ، لانّ الانسـان اذا لـم يتـدبر كـلام الله تعـالى فهـو ميـت لا حيـاة لـه ، يقـول الشـيخ محمد عبـده في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ كَـذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[40] .

: ((... لـيس معنى العقـل أنْ يجعـل المعنى في حاشـية مـن حواشـي الـدماغ ، غير مسـتقر في الـذهن ولا مـؤثر في النفس ، بل معناه أنْ يتدبر الشيء ويتأمله))[41] .

ولـذلك تجـد الخطـاب ـ كمـا يـرى الشـيخ محمد عبـده ـ موجهـاً لأولـى الألبـاب لانهـم القـادرون علـى اسـتعمال عقولهم في فهم دقائق الأحكام .

ففـي قولـه تعـالى : ﴿ وَلَكُـمْ فِي الْقِصَـاصِ حَيَـاةٌ يَـا أُولِـيْ الأَلْبَـابِ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ ﴾[42] . يقـول : ((فخـصَّ بالنـداء أصـحاب العقـول الكاملـة مـع أنّ الخطـاب عـام للتنبيـه علـى أنْ ذا اللُّـب هـو الـذي يعـرف قيمـة الحيـاة والمحافظـة عليهـا ، ويعـرف مـا تقـوم بـه المصـلحة العامـة ومـا يتوسـل بـه اليهـا ... كأنـه يقـول : أنّ ذا اللـب هـو الـذي يفقـه سـرّ هـذا الحكـم ومـا اشـتمل عليـه مـن الحكمـة والمصـلحة ، فعلـى كـل مكلـف أنْ يسـتعمل عقلـه في فهـم دقائق الاحكام وما فيها من المنفعة للأنام ...))[43] .

يقـول الشـيخ عبـده في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ يُـؤْتِي الْحِكْمَـةَ مَـن يَشَـاء وَمَـن يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـرًا كَثِيـرًا وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُـواْ الأَلْبَـابِ ﴾[44] : ((الحكمـة هنـا العلـم الصحيح يكـون صـفة محكمـة في الـنفس حاكمـة على الإرادة توجهها الى العمـل... والمـراد بإيتائـه الحكمـة مـن يشـاء إعطـاؤه آلتهـا ـ العقـل ـ كاملـة مـع توفيقـهِ لحسـن اسـتعمال هـذه الآلـة في تحصـيل العلـوم الصـحيحة فالعقـل هـو الميـزان القسـط الـذي تـوزن بـه الخـواطر والمدركات ...))[45] .

والعقـل عنـده لا يقـف عنـد حـدود تحصـيل العلـوم الصـحية حسـب وانمـا يـؤدي التعقـل والتـدبّر ـ لآيـات الكتاب العزيز ـ الى الرسوخ في العلم .

ففـي قولـه تعـالى : ﴿ هُـوَ الَّـذِيَ أَنـزَلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ مِنْـهُ آيَـاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُـنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَـابِهَاتٌ

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[46] .

يقول الشيخ عبده : ((... وما يعقل ذلك ويفقه حكمته إلاّ أرباب القلوب النيرة والعقول الكبيرة ، وإنما وصف الراسخون بذلك لانهم لم يكونوا راسخين إلاّ بالتعقل والتدبر لجميع الآيات المحكمة التي هي الأصول والقواعد حتى اذا عرض المتشابه بعد ذلك يتسنى لهم أنْ يتذكروا تلك القواعد المحكمة وينظروا ما يناسب المتشابه فيردونه إليه))[47] .

وعليه فليس المقصود بأولي الألباب هنا كل صاحب لبٍ من الخلق ، لان من اللب مالا فائدة فيه ولا نظر ولا هُدى .

يقول الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[48] .

: ((... وَخَصَّ أولي الألباب بالذكر مع أنّ كل الناس أولي ألباب ، لانّ من اللّب ما لا فائدة فيه. وانما سمّي العقل لبّاً لانّ اللب هو الحياة من الشيء وخاصته وفائدته ، وانما حياة الانسان الخاصة به هي حياته العقلية وكل عقل متمكن من الاستفادة من النظر في هذه الآيات والاستدلال بها على قدرة الله وحكمته ولكن بعضهم لا ينظر ولا يتفكّر وانما العقل الذي ينظر ويستفيد ويهتدي هو الذي وصف أصحابه بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ ﴾[49] ...))[50] .

ولكن الشيخ محمد عبده وإنْ دعا الى احترام العقل واعطائه أهمية كبيرة في استنطاق النصوص القرآنية إلاّ أنه يدرك تمام الإدراك أنْ لا غنى للناس ـ مهما بلغ كمال العقل ـ عن الهدى الذي جاء به الأنبياء من ربهم؛ لأنّ ((... الله قضى أنْ يكون الناس أمة واحدة يرتبط بعضهم ببعض ، ولا سبيل لعقولهم وحدها الى الوصول الى ما يلزم لهم ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأيدهم بالدلائل القاطعة على صدقهم ، وعلى أنّ ما يأتون به إنما هو من عند الله تعالى))[51] .

فقد تغلب الأهواء على العقول وبالتالي يهمل الانسان استخدام عقله فيحتاج الى هداية ترشده في هذه الظلمات .

يقول الشيخ محمد عبده : ((يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس . . . فإذا وقعت المشاعر في مزالق الزلل ، واسترقت الحظوظ والأهواء العقل ، وهذه الحظوظ والأهواء ليس لها حدّ يقف الناس عنده ، فاحتاجوا إلى هداية ترشدهم في ظلمات أهوائهم ، إذا هي غلبت على عقولهم ، وتبيّن لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها ، ويكفوا أيديهم عمّا وراءها ...))[52] .

وهو يرى أنّ العقل قد يدرك فائدة الشيء ولكن قد يتعرض للخطأ فيما يدركه ، وعليه فلا بدَّ له من معلِّم ينصره على هواه : ((لما يعرض له من الاهواء والشهوات التي تلقي الغشاوة على الأبصار والبصائر . مثال ذلك السعاية ... يدرك العقل ما فيها من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية بشخص، زيّنها له هواه ، فصار محتاجاً إلى معلم آخر ينصر العقل على الهوى ، ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدىً))[53] .

ولم يكتفِ محمد عبده بذلك بل يرى أنّ على العقل أنْ لا يحاول الوصول الى معرفة بعض الأمور لأنها لا

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

تدرك بمجرد العقل لوحده أو لأنها من غيب الله . كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[54] .

إذ يقول : ((الصحف التي تنتشر يوم القيامة بعد البعث هي صحف الأعمال . والذي يجب علينا اعتقاده أنّ اعمال العباد تظهر لهم ثابتة مبيّنة لا يرتابون فيها يوم الجزاء . ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان بنشر صحف الاعمال . أمّا كون الصحف على مثال الأوراق التي نكتب عليها في الدنيا أو على مثال الألواح أو ما يشبه ذلك مما جرى استعماله للكتابة عليه فذلك مما لم يصل علمنا إليه ولن نصل اليه بمجرد العقل ، ولم يروَ عن المعصوم ـ ﷺ ـ فيه نصٌّ قاطع))[55] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾[56] . يقول : ((وتقدير الله الاعمال و ما تستحقُّهُ من الجزء في ذلك اليوم إنما يكون على حسب ما يعلم لا على طريقة ما نعلم . فعلينا أنْ نفوض الامر فيه اليه سبحانه مع الايمان به))[57] .

وكذلك يرى الشيخ عبده أنّ على العقل أنْ يقف ويتورع عن الدخول في تفصيل ما جاء مبهماً في القرآن الكريم وعدم الخوض في تفصيلاته . التي سكت عنها النص القرآني الحكيم كما هي الحال في كثير من نصوص التوراة التي تناولت قصَّة أو قصص بني اسرائيل مع أنبيائهم .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[58] .

يقول : ((... والقصة في التوراة التي بين أيديهم الى اليوم : دعا موسى اليه مَنْ يرجع الى الرب ، فأجابه بنو لاوي فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا ، وقتل في ذلك اليوم (نحو ثلاثة آلاف) وقال مفسرنا (الجلال) كغيره إنّ الذين قتلوا ألفاً والقرآن لم يعين العدد ، والعبرة المقصودة من القصّة لا تتوقف على تعيينه فنمسك عنه))[59] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[60] ، يقول الشيخ محمد عبده : ((... بشرهم ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي ﴾ ورد لفظ الجنة والجنات كثير في مقابلة النار ، والجنة في اللغة البستان والجنات جمعها ، وليس المراد بهما مفهومهما اللغوي فقط وإنما هما دار الخلود في النشأة الآخرة ، فالجنة دار الأبرار والمتقين ، والنار دار الفجار و الفاسقين ، فنؤمن بهما بالغيب ولا نبحث في حقيقة أمرهما ، ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئاً لانَّ عالم الغيب لا يجري فيه القياس ...))[61] .

هـ. موقفه من التأويلات العلمية (العلم الحديث) :

ومن منهجه ايضاً الابتعاد عن التأويلات العلمية (العلم الحديث) لأنها ليست من مباحث القرآن وإنما هي من علم الطبيعة ولا تتوقف على الوحي .

ففي قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[62] ، يقول الشيخ عبده : ((... وأما حقيقة البرق والرعد والصاعقة واسباب حدوثها فليس من مباحث القرآن

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

لأنه من علم الطبيعة ـ أي الخليقة ـ وحوادث الجو التي في استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ...))[63] .

ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[64] : ((وانما ذكر لنا ما ذكره للاستدلال على قدرته وحكمته وللامتنان علينا بنعمته . لا لبيان تاريخ تكوينهما بالترتيب ، لانّ هذا ليس من مقاصد الدين ، فمن أراد أنْ يزداد علماً ، فليطلبه من البحث في الكون...))[65] .

وهو يرى : ((أن العلم إذا لم يكن محيطاً بوجوه المصالح والمنافع فقد يوجّه الإرادة الى خلاف المصلحة والحكمة وذلك هو الفساد ، وهو متعين لازم الوقوع ، لانَّ العلم المحيط لا يكون إلاّ للهِ تعالى ...))[66] .

فهو لا يرى ضيراً من الاشارة الى بعض الظواهر أو المسائل العلمية المتعلقة بطبيعة الكون ، لاسيما تلك المسائل التي أشار النص القرآني الى شيءٍ منها ، فقد : ((اشتمل القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله . فمن ذلك قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[67] ...))[68] .

ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[69] : ((إنَّ هذه الآية هي أكبر مثال للعجب بهذا التعبير (موزون) ...انّ العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معيّنة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلاّ بأدق الموازين المقدرة في أعشار الغرام والمليغرام ، وكذلك نسبة بعضها الى بعض في كل نبات))[70] .

وقد لا يتوقف الشيخ عبده عند بعض الظواهر أو المسائل العلمية التي أشار الى شيء منها القرآن الكريم والتي لم تكن معروفة في عصر نزوله . وانما يعطي لعقله الحرية الكاملة في قراءة النص القرآني قراءةً معاصرة ، يدخل من خلالها في تفصيلات وجزئيات لم يتطرق اليها النص ، معتمداً في ذلك على مكتشفات العلم الحديث ، وأن جاءت بعيدةً كل البعد عن تصور الذهن العربي وما يدركه من فن القول لديه .

ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[71] .

يقول : ((وقد بيت هذه السورة ... أنّ كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعدّ من اعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وانَّ هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلاّ بارؤها . ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أنْ يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال . ولا على أنْ يكون من نوع عنقاء مغرب . ولا على أنْ يكون له ألوان خاصّة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فلله جندٌ من كلّ شيء . . .))[72]

و. موقفه من القائلين بالتقليد (في الأصول) :

ومن منهجه موقفه الذي لا هوداة فيه من القائلين بالتقليد وخصوصاً من الذين يجوزون التقليد في الأصول ، بل يرى أنْ لو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لما آثروا على ما أنزل الله تعالى تقليد الناس . لانّ القرآن الكريم لم ينزل ليخاطب نفراً معدودين في وقتٍ محدد حتى نقلّد هؤلاء النفر بحجّة أنهم أقدر على فهم الدين . وهذا التقليد الأعمى إنما يؤدي بصاحبه الى بيع ما وهبه الله تعالى من هدىً ونورٍ ويزجّ به في ضلالات

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

الأهـواء والبـدع والكفـر بنعمـة الفطـرة والـدين والخـروج مـن نورهمـا والاسـتغناء بـه عـن كتـاب الله عـزّ وجـلّ والاسـتهزاء بآيـات الله تعـالى وتفصـيل آراء النـاس عليهـا ؛ لانّ التقليـد يمنـع مـن تـدبر القـرآن وحجتـه ، والمقلِّـدين أبعد الناس عن معرفة الحق .

ومـن هـذا المعنى قولـه : ﴿ وَمَثَـلُ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ كَمَثَـلِ الَّـذِي يَنْعِـقُ بِمَـا لاَ يَسْـمَعُ إِلاَّ دُعَـاء وَنِـدَاءاً صُـمٌّ بُكْـمٌ عُمْيٌ فَهُـمْ لاَ يَعْقِلُـونَ ﴾[73] ، يقـول : ((... وشـنَّعَ على المقلِّـدين والـذين يـدعون غير الله تعـالى مـن المشـركين ، فجـرَّدهم مـن حليـة العقـل ، وشـبّههم بالصـمّ البكم العمي ... بعـد مـا بين تعـالى فسـاد مـا عليـه المقلـدون من اتبـاع مـا وجـدوا عليـه آبـاءهم مـن غيـر نظـر ولا اسـتدلال ، ضـرب لهـم مـثلاً زيـادةً في تقبـيح شـأنهم ، والزرايـة عليهم ، بقولـه : ﴿ وَمَثَـلُ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ ﴾ أي صـفتهم في تقليـدهم آبـائهم ﴿ ورؤسـائهم كَمَثَـلِ الَّـذِي يَنْعِـقُ بِمَـا لاَ يَسْـمَعُ إِلاَّ دُعَـاءاً وَنِـدَاءاً ﴾... شـبّه حـالهم بحـال الغـنم مـع الراعي يـدعوها فتقبـل ، ويزجرهـا فتنزجـر ، وهـي لا تعقـل ممـا يقـول شيئاً ، ولا تفهم له معنى...))[74] .

وهـو يـرى أنَّ مـن الاصـول والقواعـد الشـرعية العامـة فـي سـورة البقـرة : ((بطـلان التقليـد للآبـاء والاجـداد والمشـايخ والمعلمـين والرؤسـاء ، لأنـه جهـل وعصـبية جاهليـة ، والشـواهد عليـه في هـذه السـورة وغيرهـا عديـدة أظهرهـا هنـا ... قولـه عـزّ وجـلّ : ﴿ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَـا أَنـزَلَ اللّهُ قَـالُواْ بَـلْ نَتَّبِـعُ مَـا أَلْفَيْنَـا عَلَيْـهِ آبَاءنَـا أَوَلَـوْ كَانَ آبَـاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُـونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَـدُونَ ﴾[75] ...))[76] .

وفي قولـه تعـالى : ﴿ الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الأَرْضَ فِرَاشـاً وَالسَّـمَاء بِنَـاء وَأَنـزَلَ مِـنَ السَّـمَاء مَـاء فَـأَخْرَجَ بِـهِ مِـنَ الثَّمَـرَاتِ رِزْقـاً لَّكُـمْ فَـلاَ تَجْعَلُـواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنـتُمْ تَعْلَمُـونَ ﴾[77] . يقـول الشـيخ محمد عبـده : ((... وأجلَّـوا سـلفهم حتى رفعـوهم الى مرتبـة الربوبيـة ... بـل اكتفـوا بتقليـد بعـض رؤسـائهم وعلمـائهم ، زاعمـين أنـه لا يقـوى على فهم كتاب الله تعالى غيرهم ...))[78] .

وهـو يـرى أنّ التقليـد باطـلٌ وعـدوٌ للعلـم لا يشـذّ في ذلـك عصـر عـن آخـر ولا أُنـاس عـن آخـرين ، لأنّـه يبعـد الانسان أو المكلَّف عن البحث والتحري .

ففـي قولـه تعـالى : ﴿ وَقَـالُواْ لَـن يَـدْخُلَ الْجَنَّـةَ إِلاَّ مَـن كَانَ هُـوداً أَوْ نَصَـارَى تِلْـكَ أَمَانِيُّهُمْ قُـلْ هَـاتُواْ بُرْهَـانَكُمْ إِن كُنـتُمْ صَـادِقِينَ بَلَى مَـنْ أَسْـلَمَ وَجْهَـهُ لِلّهِ وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَلَـهُ أَجْـرُهُ عِنـدَ رَبِّـهِ وَلاَ خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُـونَ وَقَالَـتِ الْيَهُـودُ لَيْسَـتِ النَّصَـارَى عَلَـىَ شَـيْءٍ وَقَالَـتِ النَّصَـارَى لَيْسَـتِ الْيَهُـودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُـمْ يَتْلُـونَ الْكِتَـابَ كَـذَلِكَ قَـالَ الَّـذِينَ لاَ يَعْلَمُـونَ مِثْـلَ قَـوْلِهِمْ فَـاللّهُ يَحْكُـمُ بَيْـنَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[79] .

يقـول : ((... وفي الآيـة إرشـاد إلى بطـلان التقليـد مؤيـداً لمـا في الآيـة التي تطالـب المـدعي بالبرهـان ، والى النعـي علـى المقلـدين المتعصـبين لآرائهـم ، المتبعـين لأهـوائهم . ألـم تـرَ أنَّ سـياق الآيـات نـاطق بإنكـار حكـم كل من الفـريقين على الآخـر من غير بينـه ولا برهـان ، ولا فصـل ولا فرقـان ... إلاّ تعصـباً للتقليـد مـن غير بينـه ولا تمحيص...))[80] .

وقـد أنكـر التقليـد وشـدد الانكـار على مَـنْ قـال بـه عنـد ذكـره ـ نهى الأئمـة الاربعـة عـن تقليـدهم ومخالفـة مـدوني مـذاهبهم لهـم ـ إذ يقـول : ((وهنـاك قـول ... للمتـأخرين مبنـيٌّ على أنّ الامـة جاهلـة لا تعـرف مـن الـدين شـيئاً لا مـن أصـوله ولا مـن فروعـه... فـلا مندوحـة إذن عـن القـول بجـواز التقليـد في الاصـول . وهـذا القـول ... مـا قالـه الاّ الـذين يحبـون إرضـاء النـاس بـإقرارهم مـا

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

هم عليه من الجهل ، واهمال ما وهبهم الله من العقل لينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[81] ...))[82] .

وهو يرى أنّ ترك أقوال بعض الأئمة الأربعة أو غيرهم ليس بإهانة لهم ولا مساس له بكرامتهم أو سنتهم الحسنة إذ يقول : ((... ولو فرضنا انه إهانة ـ وكان يتوقف عليها اتباع هدى كتاب الله وسنة رسوله ـ أفلا تكون واجبة ويكون تعظيم الكتاب والسنة مقدماً عليه لانّ إهانتهما كفر وترك للدين ؟ على أنّ ترك أقوال الأئمة واقع ماله من دافع ، فأنّ اتباع كل إمام تاركوا لأقوال غيره المخالفة لمذهبهم ، بل ما من مذهب إلاّ وقد رجح بعض علمائه أقوالاً مختلفة لنص الإمام ...))[83] .

والتقليد في نظر الشيخ محمد عبده هو الذي أوقع الأمة في الاختلاف والشقاق البعيد وعرقل عودة الامة الى قول واحد إذ يقول : ((الشقاق أثر طبيعي للاختلاف ، والاختلاف في الامة أثر طبيعي للتقليد والانتصار للرؤساء اللذين اتخذوا أنداداً ـ ولو بدون رضاهم ولا إذنهم ـ إذ لولا التقليد لتسهل على الامة أنْ ترجع في كل عصر أقوال المجتهدين والمستنبطين إلى قولٍ واحد بعرضه على كتاب الله وسنة رسوله ...))[84] .

وهو يرى أنّ باقي الامم التي خوطبت بالكتب السالفة ، إذا جاز لها معرفة الامور من غير أدلتها او من غير معرفة براهينها واسبابها تقليداً لأنبيائها ، فهو لا يجوز بحق مَن أنزل عليهم القرآن . أنْ يأخذوا بشيء من غير دليل أو حجة لانهم نهوا عن ذلك .

يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[85] ، ((... ثمّ طالبهم تعالى بالبرهان على دعواهم فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية ، وهي أنه لا يقبل قول لا دليل عليه ، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها ... والقرآن يخاطب من أنزل عليه بمثل : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[86] وقد فسَّروا البصيرة بالحجة الواضحة ...))[87] .

ز. موقفه ممن جعل المذهب والرأي أصلا :

ومن منهجه في التفسير : أنه من الخطأ بل لا يجوز ـ بحسب منهجه العقلي ـ أنْ يلوى عنق الآية القرآنية لتوافق ما يذهب اليه المفسِّر أو المتصدّي لتفسر القرآن الكريم ، بل العكس هو الصحيح ، أي يجب أنْ نعرض على القرآن ما نعتقد به كي يتبين لنا الهدى من الضلال لانّ القرآن هو الأصل الذي تحمل عليه المذاهب والآراء وليس العكس .

يقول : ((إذا وازنا ما في أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله تعالى من غير أنْ ندخلها أولاً فيه ، يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالين . واننا إذا أدخلنا ما في أدمغتنا في القرآن وحشرناها فيه أولاً فلا يمكننا أنْ نعرف الهداية من الضلال ، لاختلاط الموزون بالميزان ، فلا يُدرى ما هو الموزون منَ الموزون به . أريد أنْ يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء لا أنْ تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يحمل عليها ، ويرجع

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

بالتأويل أو التحريف إليها كما جرى عليه المخذولون ، وتاه فيه الضالون))[88] .

فالقرآن هو المعيار الذي تعرض عليه الأعمال والعقائد والمذاهب والآراء ، والعقائد بالذات لا تقبل فيها الاخبار الظنية لاسيّما ما كان منها متعلقاً بعالم الغيب .

يقول الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[89] ، ((... وأمّا ما ورد في حديث مريم وعيسى من انّ الشيطان لم يمسّهما وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ . وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية لأنه من رواية الآحاد . ولما كان موضوعها عالم الغيب والايمان بالغيب من قسم العقائد وهي لا يؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى ﴿ إنَّ الظنّ لايغني من الحق شيئاً ﴾ كنّا غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا ...))[90] .

ح . إنكاره على النحويين تحكيم مذاهبهم النحويّة :

ومن منهجه في التفسير أنه يرى أنّ كل كلمة في القرآن موضوعه في موضعها اللائق وليس فيه كلمة زائدة أطلاقاً . وأنكر على النحويين تحكيم مذاهبهم النحوية في القرآن الكريم .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[91] .

يقول الشيخ محمد عبده في المقطع ﴿ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ بعد أن انكر على (الجلال) قوله : والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة . إذ يقول : ((... إنّ كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة . لانّ القول برعاية الفواصل إثبات للضرورة كما قالوا في كثير من السجع والشعر إنه قدم كذا وأخّر كذا لأجل السجع ولأجل القافية . والقرآن ليس بشعر ، ولا التزام فيه للسجع ، وهو من الله الذي لا تعرض له ضرورة بل على كل شيءٍ قدير ، وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه . وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الاّ لتأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم في توجيه الكلام ، مع الغفلة في هذه النقطة عن مكانه القرآن في ذاته ، وعدم الالتفات الى ما لكل كلمة في مكانها من التأثير الخاص عند أهل الذوق العربي))[92] .

ومنه ما ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[93] . إذ يستنكر ويستكبر ما ذهب اليه (الجلال) من أنّ لفظ (مثل) زائد . ويقول ((إنّ لمثل هنا معنى لطيفاً ونكتة دقيقة . وذلك أنّ أهل الكتاب ... طرأت على ايمانهم بالله نزعات الوثنية... فأمرنا سبحانه وتعالى أنْ ندعوهم الى الإيمان الصحيح ... بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله في بعض البشر ، وكون رسولهم إلهاً أو ابن الله ... فالذي يؤمنون به في الله ليس مثل الذي نؤمن به ، فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، فلو قال : فإنْ آمنوا بالله وبما أنزل على اولئك النبيين وما أوتوه ، فقد

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

اهتـدوا . لكـان لهـم أنْ يجادلونـا بقـولهم : إننـا نحـن المؤمنـون بـذلك دونكـم ، ولفـظ (مثـل) هـو الـذي يقطـع عرق الجدل))[94] .

ومثلـه قولـه في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ أَوْ كَالَّـذِي مَـرَّ عَلَى قَرْيَـةٍ وَهِيَ خَاوِيَـةٌ عَلَى عُرُوشِـهَا قَـالَ أَنَّـىَ يُحْيِـي هَـذِهِ اللّهُ بَعْـدَ مَوْتِهَـا فَأَمَاتَـهُ اللّهُ مِئَـةَ عَـامٍ ثُـمَّ بَعَثَـهُ قَـالَ كَـمْ لَبِثْـتَ قَـالَ لَبِثْـتُ يَوْمًـا أَوْ بَعْـضَ يَـوْمٍ قَـالَ بَل لَّبِثْـتَ مِئَـةَ عَـامٍ فَـانظُرْ إِلَى طَعَامِـكَ وَشَـرَابِكَ لَـمْ يَتَسَـنَّهْ وَانظُـرْ إِلَى حِمَـارِكَ وَلِنَجْعَلَـكَ آيَـةً لِّلنَّـاسِ وَانظُـرْ إِلَى العِظَـامِ كَيْـفَ نُنشِـزُهَا ثُـمَّ نَكْسُـوهَا لَحْمًـا فَلَمَّـا تَبَيَّنَ لَـهُ قَـالَ أَعْلَـمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[95] .

إذ يقـول بعـد قـول الجـلال بـأن الكـاف في ﴿ أَوْ كَالَّـذِي ﴾ زائـدة انتصـاراً لمـذهب البصـريين الـذين أنكـروا مجـيء الكـاف بمعنـى (مثـل) : ((إنّ تحكـيم مـذاهبهم النحويـة في القـرآن ومحاولـة تطبيقـه عليهـا وأنْ أخـلَّ ذلـك ببلاغتـه ــ جـراءة كبيـرة على الله تعـالى وإذا كـان النحو وجد لمثل ذلك فليته لم يوجد))[96] .

وهـو لا يـرى أنْ لـيس في القـرآن كَلِـمٌ زائـدة حسـب وانما القـرآن الكـريم لا يختـار لفظـاً على لفـظٍ الاّ لحكمـة تفـوق تصـورات أربـاب الفصـاحة وحـذّاق البلاغـة لأنـه في اعلى درج البلاغة .

ففـي قولـه تعـالى : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرُواْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُـدَى فَمَـا رَبِحَـت تِّجَـارَتُهُمْ وَمَـا كَـانُواْ مُهْتَـدِينَ ﴾[97] .

يقـول : ((وقـد فسـروا ﴿ اشْـتَرُواْ ﴾ باسـتبدلوا وهـو غير سـديد لانَّ بـين اللفظين فصـلاً في المعنى ، وكلنـا نعتقـد ــ والحـق مـا نعتقـد ــ أنّ القـرآن في أعلى درج البلاغـة لا يختـار لفظـاً على لفـظ مـن شـأنه أنْ يقـوم مقامـه ، ولا يـرجح أسـلوباً على اسـلوبٍ يمكـن تأديـة المـراد بـه ، إلاّ لحكمـة في ذلـك وخصوصـية لا توجـد في غير مـا أختـاره ورجّحـه . ووجـه اختيـاره ﴿ اشْـتَرُواْ ﴾ على استبدلوا أنّ الأول أخصّ من وجهين :

أحـدهما : أنّ الاسـتبدال لا يكـون شـراء إلاّ إذا كـان فيـه فائـدة يقصـدها المسـتبدل منـه ، سـواء كانـت الفائدة حقيقة أو وهمية .

ثانيهمـا : أنّ الشـراء يكـون بـين متبـايعين بخـلاف الاسـتبدال ، فـاذا أخـذت ثوابـاً مـن ثيابـك بـدل آخـر ، أنـك اسـتبدلت ثوبـاً بثـوب ، فـالمعنى الـذي تؤديـه الآيـة : أنّ أولئـك القـوم اختـاروا الضـلالة على الهـدى لفائـدة لهـم بإزائهـا يعتقـدون الحصـول عليهـا مـن النـاس ، فهـو معاوضـة بـين طـرفين يقصـد بهـا الـربح ، وهـذا هـو معنى الا شـتراء والشـراء ، ومثلهمـا البيـع والابتيـاع ، ولا يؤديـه مطلق الاستبدال))[98] .

الخاتمة :

بعـد هـذه السـياحة في أرجـاء البحـث خلـص الباحث إلى نتائج أهمّها الآتي :

ـ إنَّ القـرآن الكـريم يرسـم منهجـاً اجتماعيَّـاً متكـاملاً، ولذلك أخضع هذا الاتجاه التفسير لهذا المفهوم

ـ عـدم التركيز على علـوم اللغـة وغيرهـا إلاَّ بقـدرٍ يسـير، والاهتمام في فهم المنهج القرآني لحياة الفرد المسلم .

ـ التركيز على اسـتنطاق الوقـائع التاريخيَّـة للإفـادة منهـا في تربية الأمة .

ـ الابتعـاد عـن التـأويلات في مجـال العلـوم الحديثـة لأنَّهـا ليسـت مـن مباحـث القـرآن الكـريم، وإنْ كـان لا يـرى ضيراً من الاشارة إلى بعضها .

ـ التركيز على العقـل ونبـذ التقليـد لاسـيَّما في بـاب العقائـد .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

ـ إنّ إصلاح المسلمين لا يتوقف على اصلاح حكامهم حسب وإنما يتوقف كذلك على مدى بذل المسلمين لشيء من أموالهم على التربية والتعليم إذا أرادوا أنْ يستحقوا أنْ يكونوا من المسلمين .

ـ ومن منهج عبده الوقوف طويلاً عند اسباب ضعف الأمم .لاسيما أمتنا الاسلامية .وسبب ذهاب قوتها .

ـ ذكره لتفصيلات وجزئيات لم يتطرق اليها النص ، معتمداً في ذلك على مكتشفات العلم الحديث ، وإن جاءت بعيدةً كل البعد عن تصور الذهن العربي وما يدركه من فن القول لديه .

ـ إنكاره على النحويين تحكيم مذاهبهم النحويّة في النص القرآني .

مصادر البحث :

خير ما نبدأ به كتاب الله تعالى (القرآن العظيم) .

ـ تفسير جزء عمَّ مع مقدمة التفسير ، محمد المبارك عبد الله شيخ علماء السودان ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة .

ـ تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، محمد رشيد رضا ، ط1 ، مطبعة المنار ، القاهرة ، 1353هـ .

ـ تفسير المراغي ، صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم احمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلاميَّة واللغة العربيَّة بكليَّة دار العلوم سابقاً ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .لبنان .

.تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط2 ، دار الفكر .

. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط 34 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1425هـ.2004م .

هوامش البحث

(1) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط2 ، دار الفكر . 1/ 12 .

(2) المصدر نفسه : 1 / 12 – 13 .

(3) المصدر نفسه : 1 / 17 .

(4) المصدر نفسه : 1 / 24 – 25 .

(5) المصدر نفسه : 1 / 323 .

(6) المصدر نفسه : 1 / 31 .

(7) المصدر نفسه : 1 : 322 .

(8) البقرة : 58 – 59 .

(9) تفسير المنار : 1 / 323 – 324 .

(10) تفسير جزع عمّ مع مقدّمة التفسير ، محمد المبارك عبد الله شيخ علماء السودان ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ص 181 – 182 .

(11) البقرة : 206 .

(12) تفسير المنار : 2 / 249 – 251 .

(13) البقرة : 254 .

(14) تفسير المنار : 3 / 22 .

(15) البقرة : 261 .

(16) تفسير المنار : 3 / 59 .

(17) البقرة : 47 .

(18) تفسير المنار : 302 – 303 .

(19) البقرة : 48 .

(20) تفسير المنار : 1 / 309 .

(21) البقرة : 47 .

(22) تفسير المنار : 1 / 305 – 306 .

(23) البقرة : 57 .

(24) تفسير المنار : 1 / 322 – 323 .

(25) العصر : 3 .

(26) تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، محمد رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار ، القاهرة ، 1353 هـ : 87 – 89 .

(27) المصدر نفسه : 99 – 100 .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

[28] البقرة : 4 .

[29] تفسير المنار : 127 – 129 .

[30] البقرة : 247 .

[33] تفسير المنار : 2 / 471 – 472 .

[34] البقرة : 164 .

[35] البقرة : 170 .

[36] البقرة : 242 .

[37] تفسير المنار : 1 / 121 .

[38] المصدر نفسه : 1 / 153 – 154 .

[39] المصدر نفسه : 1 / 63 .

[40] البقرة : 242 .

[41] تفسير المنار : 2 / 453 .

[42] البقرة : 179 .

[43] تفسير المنار : 2 / 133 .

[44] البقرة : 269 .

[45] تفسير المنار : 3 / 75 .

[46] آل عمران : 7 .

[47] تفسير المنار : 3 / 171 – 172 .

[48] آل عمران : 190 .

[49] آل عمران : 191 .

[50] تفسير المنار : 4 / 298 – 299 .

[51] المصدر نفسه : 2 / 204 .

[52] المصدر نفسه : 1 / 63 – 64 .

[53] المصدر نفسه : 2 / 204 ؛ ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط 34 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1425هـ .2004م ، ج3 ، ص1760. 1761 .

[54] التكوير : 10 .

[55] تفسير جزء عمّ : 47 وما بعدها .

[56] القارعة : 6 – 9 .

[57] تفسير جزء عمّ : 147 .

[58] البقرة : 54 .

[59] تفسير المنار : 1 / 320 .

[60] البقرة : 25 .

[61] تفسير المنار : 1 / 231 – 234 .

[62] البقرة : 19 .

[63] تفسير المنار : 1 / 176 – 177 .

[64] البقرة : 29 .

[65] تفسير المنار : 1 / 249 .

[66] المصدر نفسه : 1 / 256 .

[67] الحجر : 22 .

[68] تفسير المنار : 1 / 210 .

[69] الحجر : 18 .

[70] تفسير المنار : 1 / 211 .

[71] الفيل : 1 – 5 .

[72] تفسير جزء عمّ : 158 .

[73] البقرة : 171 .

[74] تفسير المنار : 1 / 108 ؛ 2 / 93 – 94 .

[75] البقرة : 17 .

[76] تفسير المنار : 1 / 114 .

[77] البقرة : 22 .

[78] تفسير المنار : 1 / 180 – 181 .

[79] البقرة : 111 – 113 .

[80] تفسير المنار : 1 / 429 – 430 ؛ ينظر : تفسير المراغي ، صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم احمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلاميَّة واللغة العربيَّة بكليَّة دار العلوم سابقاً ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .لبنان ، ج2 ، ص215 .

[81] الأعراف : 179 .

[82] تفسير المنار : 2 / 83 – 84 .

[83] المصدر نفسه : 2 / 108 .

[84] المصدر نفسه : 2 / 108 .

[85] البقرة : 111 .

[86] يوسف : 108 .

[87] تفسير المنار : 1 / 425 .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/201-218

[88] تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن : 54 .

[89] آل عمران : 36 .

[90] تفسير المنار : 3 / 292 .

[91] البقرة : 143 .

[92] تفسير المنار : 2 / 12 .

[93] البقرة : 137 .

[94] تفسير المنار : 1 / 485 .

[95] البقرة : 259 .

[96] تفسير المنار : 3 / 48 .

[97] البقرة : 16 .

[98] تفسير المنار : 1 / 165 .

Abstract

The explanation Mohammed Abdah build on a principle which says that the Koran aimed to guide people and precept them in both lives. And the Sayers of this Doctrine depend on that, the Koran depict an integrable social approach , thus they based the explanation on this concept and try to reveal the Koranic approach in their explanation in building the Islamic community from all its era.

This kind of explanation has its advantages, one of this advantage is keeping away from coercion the verse to become as the interpreter opinions. And the opposite is correct because we must display what we believe on Koran to distinguish between righteousness and aberration because Koran is the pedigreed which on it all doctrines and opinions must based . Another advantage is this explanation sees that every word of Koran is putted in its suitable place, and have no excrescent word ever, and prevent the grammarian adjudicate their doctrine in Koran. Thus Koran not just have no redundant word but it doesn't chose randomly rather wisely because it extremely rhetoric.

Another advantage is keeping away from scientific interpretations (modern science) because it's not from Koranic fields but from physics and didn't depend on inspiration. Although it doesn't see a problem to give a hint to some phenomenon or scientific issues which concerns the nature of the universe, especially those issues which mentions by Koranic Text , one of which its attitude from those who adopted the doctrine of imitation especially in the Basics, because the imitation in this sense is fallacious and foe to science and nobody doesn't agreed with this in all eras because it takes human away from searching or looking for truth , and taking its bearer backslide his god's gift and birth then through him in darkness ,inclination and blasphemy because it prevent man to see Koran .